

عائشة آل سعد

محددات السياسة الخارجية الإيرانية

وأبعادها تجاه دول الخليج
في سياق مناقشات النووي الإيراني



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies



محددات السياسة الخارجية الإيرانية

تأليف: عائشة آل سعد

تلخيص وإعداد: د. حسين الصباغ

@al_sobagha

تحدث الكتاب عن ثلاثة أبعاد رئيسية للسياسة الإيرانية:

- 1- المحددات الداخلية التي أثرت في سياسة إيران تجاه دول مجلس التعاون الخليجي.
- 2- العوامل الخارجية في سياستها الخارجية.
- 3- محددات سياسة إيران الخارجية.

كما تناول الكتاب المشروع النووي الإيراني تاريخياً، حيث أن أول مفاعل نووي حصلت عليه إيران كان في عام 1953 بإهداء الولايات المتحدة لإيران المفاعل في مبادرة (الذرة مقابل السلام) التي أطلقها أيزنهاور في وقتها.

بدأ الشاه مشوار إيران النووي كرمز للهبة والقوة وعليه قيدت الولايات المتحدة الشاه بجعله ينضم إلى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية 1968.

في أولى أيام الثورة أعلن الخميني معارضته التامة للتكنولوجيا النووية وعليه قد دمر بشكل جزئي أو كامل معظم المحطات النووية، لكن تبدل موقف إيران بعد نهاية الحرب الإيرانية العراقية ولجأت إلى روسيا لبناء المفاعلات من جديد أولها مفاعل بوشهر.

بعد فشل المفاوضات الأوروبية الإيرانية في 2005 استأنفت إيران جميع العمليات والأنشطة النووية حتى أحيلت القضية إلى مجلس الأمن عام 2006 وتم فرض عقوبات على إيران من ضمنها 11 عقوبة أممية و 13 عقوبة أمريكية أحادية الجانب.

اعتمدت الولايات المتحدة الدبلوماسية في معالجتها للقضية النووية الإيرانية لثلاثة أسباب:

- 1- ادراكها ببعيد إيران عن بلوغ قدرات نووية عسكرية.
 - 2- صدفت إيران ضمن محور الشر لكن دخول الولايات المتحدة للعراق وأفغانستان جعل الخيار العسكري ضد إيران مكلف للغاية.
 - 3- لم ترى الولايات المتحدة إيران عدوانية أو لا عقلانية كما هو حال صدام حسين.
- طموح إيران من برنامجها النووي هو تحويل إيران لقوة كبرى والمسألة لديهم هي مسألة فخر وطني.

من الأهداف التي جعلت البرنامج النووي العسكري أمراً محتملاً:

- 1- امتلاك السلاح النووي سيجعل إيران قوة مهيمنة على الخليج دون منازع.
- 2- سيمكنها من تعزيز نفوذها في وجه الخصوم الإقليميين كباكستان وإسرائيل وتركيا والسعودية مما سيمكنها من تصدير ثورتها.
- 3- تبني الدبلوماسية الإيرانية خطأً متشدداً في المفاوضات ورفضهم للصفقات بإصرارهم على تخصيب اليورانيوم.

ترى إيران في مفاوضاتها النووية ثلاثة أمور مهمة:

- 1- بينت للعالم على أنه من حقها تطوير التكنولوجيا المدنية.
- 2- المسؤولون الإيرانيون حريصين على اظهار نضجهم الدبلوماسي.
- 3- ركزوا على مسألة أن إيران ليست كوريا الشمالية أو ليبيا بل هي فاعل إقليمي قوي.

الهدف من ذلك اقناع الإيرانيين للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بأن إيران يمكن أن تكون شريكاً موثقاً يمكن الاعتراف بموقعها ودورها الإقليمي.

أن الاتفاق النووي الأخير أجبر إيران على توفير إمكانية لوصول المفتشين من الطاقة الذرية إلى المنشآت النووي مما يجعلها من الصعوبة تطوير منصتها العسكرية في ذات المجال.

في المقابل دول الخليج لا ترى في برنامج إيران النووي أي تهديد بقدر ما تراه من قلق تجاه سياسة إيران الخارجية العدائية. وعليه كان من الممكن أن يكون الاتفاق النووي محل تعزيز ثقة مع دول الخليج الإمارات، قطر وعمان واضعاف تحالفهم مع السعودية عبر فرص اقتصادية جديدة بين دول المنطقة.

هدف الرئيس خاتمي إلى إنهاء عزلة إيران السياسية وبناء الثقة مع دول المنطقة وتطوير التعاون مع تركيا والسعودية أسوة لما قام به الرئيس رفسنجاني لكنهم لم ينجحوا نتيجة المعارضة الشديدة داخل النخبة الحاكمة في إيران.

دعمت دول الخليج خاتمي لكنها أدركت أنه لا يستطيع تنفيذ أهداف السياسة الخارجية مالم يتمتع بالدعم الكامل من المحافظين الذي يقودهم خامنئي.

عندما وصل نجاد إلى السلطة استندت سياسته الخارجية إلى القومية الراديكالية ومزيج من مبادئ الثورة وأبهة الماضي الإيراني العظيم.

كان يرى نجاد أن دول الخليج هي تهديد غير مباشر لإيران، وعليه لم تكن سياسة نجاد مع دول الخليج وديه لعدة أسباب:

- 1- موقف أحمدي نجاد من أنظمة الحكم الملكية كان أيديولوجيا.
- 2- تهديداته المتكررة بإعاقة الملاحة في مضيق هرمز.
- 3- المناورات العسكرية المنفذة في مياه الخليج.
- 4- المنافسة النفطية.
- 5- موقفة بدعم الربيع العربي.
- 6- تجاهله لمصالح دول الخليج.
- 7- دعمه لحزب الله وحماس بشكل مباشر.

انتخاب روحاني نقطة تحول في سياسة إيران الخارجية مع اتفاقها المبدئي والمبرم في الشأن النووي 2013.

أصبح في 2013 رئيس إيراني منخرط بشكل علني مع المجتمع الدولي والولايات المتحدة للتوصل إلى اتفاق نووي شامل ومتكامل كما حصل في 2015.

ان الاتفاق النووي اعترف بموقع إيران ودورها كقوة إقليمية مشروعة ووضعت إيران في موقع يسمح لها بتطوير مصالح اقتصادية هائلة مع العديد من الفاعلين الدوليين.

لكن سوء تقدير إيران وفهمه للربيع العربي جعلها تنخرط في السياسة العربية وأغرقها في الصراع الطائفي ووضعها في خلاف مع معظم العالم العربي.

تدرك إيران أن السعودية هي منافستها الإقليمية الأولى ليس بسبب أسعار سوق النفط بل بسبب تمويلها لحرب العراق الطويلة وبالمثل ترى في قطر منافستها على سوق الغاز في المقابل علاقتها كانت ولا زالت قوية مع الإمارات اقتصاديا وكذلك عمان والكويت والبحرين.

نظرت دول الخليج لإيران بالعدو لسببين:

- 1- الترويج للثورة لإطاحة أنظمتها.
- 2- محاولاتها فرض نفسها كقوة مهيمنة بالمنطقة.

في المقابل نظرت إيران لدول الخليج بالعدو لسببين:

- 1- دعمها لصدام حسين في حربه ضدها.
- 2- دعمها للحركات السنية المتطرفة لمواجهة النفوذ الإيراني المتنامي في الشرق الأوسط.
- 3- اعتماد دول الخليج للحصول على الأمن من الولايات المتحدة بدلاً من إيران.

جذور عدم الثقة بين الخليج وإيران:

- 1- الحرب العربية الإسرائيلية عام 1973 في حظر التصدير النفطي الخليجي ارتفع سعر البرميل وبدل من أن تدعم إيران وتقف مع دول الخليج رفعت من انتاجها واستفادت من ارتفاع أسعار النفط.
- 2- نظرة قياديي إيران للملكيات الخليجية على أنها رجعية ومسؤولين عن تمرکز القوات الأمريكية بالمنطقة.
- 3- دعم الخليج للعراق في حربه على إيران.
- 4- رفض دول الخليج عضوية إيران في مجلس التعاون الخليجي.
- 5- اتهام إيران للسعودية بإغراق السوق النفطية حتى لا تستفيد إيران من عائدات اقتصادية ومالية أعلى.
- 6- أهمل موقف إيران الإيجابي في حرب تحرير الكويت من قبل الولايات المتحدة ودول الخليج.

إيران لا ترى في دول الخليج تهديداً لها بسبب:

- 1- عدم قدرة دول الخليج باستثناء السعودية بمنافسة إيران عسكرياً وديمغرافياً.
- 2- ترى إيران أن مجلس التعاون بجلبه للأمريكيين تهديداً للأمن القومي الإيراني.

بالغت دول الخليج في تصويرها للتهديد الإيراني لأن قدرات إيران العسكرية التقليدية أدنى بكثير من دول الخليج.

تستغل السعودية التهديدات الإيرانية في تعزيز موقعها القيادي بالخليج لتعزيز شرعيتها الداخلية في فترات انتقال الخلافة على العرش.

كما شاركت الإمارات في تعزيز موقعها كحليف للسعودية باسم التهديدات الإيرانية، بينما نظرت الكويت وقطر إلى إيران كمصدر معتدل للتهديد.

استغلت بدورها الولايات المتحدة تهديد الجانبين لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وعله يجب أن لا تسيطر العقلية الصفرية على العلاقة الإيرانية السعودية حتى يتمكن من تحقيق التعاون والأمن الإقليمي.

تأثير السياسة الأمريكية على السياسات الخارجية الإيرانية/الخليجية:

- 1- حيث أنها تهدف إلى تعقيد العلاقات بين الطرفين مما يؤدي إلى تصعيد التوترات واستغلالها.
- 2- إن السياسات الأمريكية لا تمتلك استراتيجية واضحة تجاه المنطقة.

تداعيات الاتفاق النووي:

- 1- سياسات أكثر عقلانية وتطبيع إيران مع دول الخليج.
- 2- سياسات أكثر عدوانية عبر الاستمرار بسياسة إيران التوسعية.
- 3- تداعيات شرطية تعتمد حسب مواقف كل طرف في الملفات الرئيسية.

المدرجات الإيرانية للشراكات مع دول الخليج:

- 1- شراكات محتملة للتطلع نحو مستقبل مشترك.
- 2- شراكات غير محتملة باستمرار العداوة.
- 3- شراكات مشروطة عبر التقدم بخطوات تدريجية كل على حده.

العوامل المحددة لسياسة إيران الخارجية تجاه دول الخليج:

- 1- علاقة دول الخليج بالولايات المتحدة والغرب.
- 2- علاقة إيران بالولايات المتحدة والغرب.
- 3- العوامل الاقتصادية.
- 4- الأزمة الإقليمية.
- 5- السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة.
- 6- تغييرات النظام في إيران.
- 7- التغيير بالسلوك السعودي.

الاتفاق النووي مكاسب وخسائر:

- 1- أبقت إيران المفاوضات في ملف النووي مركزة عليها فقط لأنه لا نية لها لتغيير سلوكها السياسية بشأن الصواريخ الباليستية.
- 2- استغلت إيران المكاسب الاقتصادية لتمويل سياساتها التوسعية.

الفائزين:

إيران ووكلائها والقوى الأوروبية والصين وروسيا.

الخاسرين:

دول مجلس التعاون الخليجي والولايات المتحدة وإسرائيل.

الانسحاب من الاتفاق النووي فائزين وخاسرين:

- 1- الولايات المتحدة: فازت غي استثمارات وطلبات الأسلحة من السعودية والإمارات والكويت بمبلغ يصل إلى 2 ترليون دولار بين عام 2017-2025.

2- دول مجلس التعاون الخليجي:

تعتبر السعودية والإمارات والبحرين الانسحاب هو انتصار لها لأنه لا يعينها الاتفاق النووي بقدر ما يعينها ملف الصواريخ الباليستية المهددة للأمن والاستقرار، كما أن العقوبات على إيران ستستفيد منها السعودية سواء بالنفط أو التعاملات المالية، بينما خسرت عمان لأنها كانت اللاعب الأساسي للاتفاق، وأن الكويت ترى أن سريان الاتفاق أفضل لسببين، الأول الصفقة طريقة فعالة للسيطرة على برنامج إيران النووي، ثانياً جعلت كل من إيران والسعودية تحت المراقبة مما يبقيهما منشغلين ببعضهما البعض بعيداً عن الكويت، بنما قطر عاشت في وضع ملتبس نتيجة علاقاتها مع إيران وبنفس الوقت الحظر الخليجي عليها وعليه كانت ترى أن الاتفاق هو رؤية لتحقيق التوازن في المنطقة.

3- إسرائيل:

عارضت إسرائيل الصفقة منذ البداية لأنها لم تكن تشمل الصواريخ الباليستية وعليه ترى في الانسحاب انتصار كبير لها.

4- أوروبا وروسيا والصين:

جنت الدول المذكورة أرباح كبيرة من الاتفاق النووي وعليه فإن الانسحاب هو خسارة هائلة لها.

5- إيران:

إن رفع العقوبات الأممية نتيجة الصفقة النووية هو رفع العقوبات عن قدرات إيران في تطوير برنامجها الصاروخي الباليستي، كما مكنتها الصفقة من الحصول على 150 مليار دولار من أموالها المجمدة، وعليه فإن الانسحاب من الصفقة جعلها أكبر الخاسرين بسبب:

أ- قدرة الولايات المتحدة على فرض عقوبات أحادية الجانب.

- ب- انسحاب الولايات المتحدة يعني أن الاتفاق بات ورقياً فقط وعليه يجب أن يكون هناك اتفاق جديد وعليه تقديم إيران لمجموعة من التنازلات.
- ت- من الممكن أن تكون هناك مواجهة مباشرة بين إيران والولايات المتحدة والتي تؤدي إلى خلل كبير في أسواق النفط وأسعاره.
- ث- خسارة إيران للعائدات النفطية وحصة سوقية مجزية مما سيعود على اقتصادها الداخلي.

كما أنه من الصعوبة فرض عقوبات أممية على إيران لسببين:

- 1- أقرب حلفاء الولايات المتحدة يعارضون إنهاء الصفقة بسبب ما سيجنوه من خسائر كبيرة.
- 2- لأن إيران بالفعل احترمت شروط الصفقة وأحكامها وعليه لا داعي للعقوبات.

إن الخطأ الاستراتيجي التي قامت به إيران هو فشلها في توقع قدرة ترامب على إلغاء الصفقة ولم تقدم إيران أي فرصة لدول الخليج في تغيير الصفقة لسلوكها، كما لم تحاول إيران استرضاء السعودية أو الإمارات لمنعها من تخريب وإلغاء الصفقة وعادت عليه إيران إلى خطابها بشأن تدمير دول الخليج وإسرائيل في غضون دقائق.

وعليه في اليمن لم يبقى على الجبهة اليمنية أمام إيران سوى كسب المعركة عسكرياً أو التوصل إلى حل سياسي دون خسائر لأي من الطرفين، أما في سوريا فدول الخليج لم تعد تشارك بشكل مباشر في الصراع السوري وأن مشاكل إيران في سوريا مع الولايات المتحدة وإسرائيل وروسيا أيضاً.

أما في لبنان فيجب أن تسود التفاهات بين إيران والسعودية كما حصل في الانتخابات الرئاسية في مايو 2018.

ختاماً، إن دول مجلس التعاون الخليجي والولايات المتحدة وإسرائيل تتشاركان الرؤية في تحجيم موقع إيران برامجها (النووي والبالستي) وإذا رفضت إيران وأصررت على التصعيد فقد تصبح الحرب سيناريو محتمل، وعليه سيكون على إيران تقديم تنازلات كبيرة لتحقيق إيجابية في المنطقة.